

القيادة... التطبيق العلمي للهدى النبوي

د. باسم بن يوسف شيخ

وكيل كلية الطب للشؤون التعليمية، رئيس قسم الجراحة

جامعة طيبة - المدينة النبوية

إن الحمد لله، نحمده و نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا،
وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.
{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) }

فإن دراسة الهدى النبوي أمر له أهميته لكل مسلم، فهو يحقق عدة أهداف
لعل من أهمها الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال معرفة
شخصيته وأعماله وأقواله، وتكسب المسلم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم
وتتميمها. إن من تأمل حادثة الهجرة، ورأى دقة التخطيط ودقة التنفيذ من ابتدائها
إلى انتهائها، ومن مقدماتها إلى ما جرى بعدها، يدرك أن التخطيط المسدد
بالوحي في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قائم، وأن التخطيط جزء من السنة
وهو جزء من التكليف الإلهي في كل ما طوّل به المسلم.

إن المسلم يتعلم من المنهاج النبوي كل فنون إدارة الإبداع والبراعة في
القيادة وفي الانتقال من مستوى إلى آخر.

إن القيادة أساس النجاح، فالحاجة هنا للقائد تكمن في قدرته على توحيد
جهود الأفراد وتوجيهها في ناحية واحدة؛ لتصب في تحقيق هدف واحد، مما
يسهل من مهمات الأفراد. إن القيادة هي المحرك الرئيس للعملية الإدارية

الناجحة. فيجب أن يكون متفائلاً، ويصغي للآخرين ويستمتع لأفكارهم. إن أنجح القادة من يهتمون بكل من يعمل معهم ويقيمون لهم وزناً، فيبدون اهتماماً حقيقياً بكل ما يفعله العاملون، مما يجعل العاملين راضين عن أنفسهم وعن قائدهم، علاوة على ذلك فإن القادة الناجحين لا يقيمون الحواجز بينهم وبين موظفيهم.

قال تعالى في كتابه الكريم: {وشاورهم في الأمر} فلكي تكون قائداً صالحاً عليك بالشورى؛ فهي تزرع روح المحبة والخوف على العمل، في حين أنها عنصر أساس في الخروج بأفضل البدائل لحل أي مشكلة قد تواجه الإدارة.

تعريف القيادة: يرى ابن دريد أن القيادة في اللغة ما خوذته من الفعل (قاد)، كما في قاد الرجل بغيره، فهو يقوده قوداً. واصطلاحاً فإن هناك خلافاً حول تعريف القيادة. ففي العصر الماضي كانت القيادة ترمز إلى بعض السمات الشخصية، والقدرات الخاصة التي منحها الله سبحانه لبعض الأشخاص، سواء كانت عقلية أم جسدية أو أخلاقية، أما في العصر الحديث فقد اختلف معنى القيادة وتغير لتتوافق مع متطلبات العصر ومكوناته، ومع التنظيمات ذات النشاط النوعي والتخصصي المختلف، حيث لم يعد بالإمكان الاعتماد على السمات الشخصية بل أصبحت هناك حاجة ماسة إلى بعض المهارات التي تتطلبها المنظمات المختلفة حسب النشاط الذي تمارسه.

مبادئ القيادة: فإن القائد الفذ هو من يؤمن بأنه إنما يدير عقول الأفراد، لا أجسادهم، وعلى قدر نجاحه في تفجير طاقاتهم الإبداعية والابتكارية على قدر ما يكون نجاحه ونجاح منظمته والوصول إلى أعلى درجات التميز والتفوق. إن القائد الحقيقي هو من يحاول أن يبتدع أسلوباً مختلفاً في العمل. من يطبق العدل في توزيع الأدوار بين العاملين. من يكون ثابتاً غير متقلب الأداء. ولا تخلو القيادة الناجحة من روح المحبة بين العاملين القائمة على الودّ والتعاون

والتواضع. ويتضمن ذلك الإيمان بالهدف و إيضاح الأهداف للآخرين ووسائل تحقيقها عن طريق توزيع خطوات التنفيذ، التقدم المستمر في الأداء، حب العمل مع الآخرين ومبدأ العمل الجماعي (العمل بروح الفريق)، التقدير السليم للموقف، تحمل المسؤولية، التصرف على المستوى القيادي، حسن التصرف، القيادة نحو الإصلاح، الشورى، ومبدأ العدالة والمساواة، ومبدأ طاعة ولاة الأمر، ومبدأ القوة والأمانة، مبدأ الجدارة وبناء وتعزيز الثقة بين العاملين، ومشاركة الآخرين في صنع القرار، وتحديد الأدوار بشكل واضح ودقيق، والاستعانة بالجهات الاستشارية لإجراء الدراسات وتدريب العاملين، وموضوعية وعدالة القوانين التي تحكم العلاقة بين العاملين والقيادة، توقع حدوث الأخطاء والإخفاقات، والمبادرة إلى تحليل الخطأ أو الفشل لمعرفة أسبابه وكيفية علاجه، ووضع خطة علاجية مفصلة لمواجهة الإخفاق، وأن يشرك القائد مرؤوسيه في تحليل مواطن الخلل، والاستفادة من الأخطاء، ومن مواضع الإخفاق كدروس تدريبية، وعدم اليأس وبث الروح المعنوية العالية عند المرؤوسين. تشجيع المشاركة التدريجية في نقاش موضوعات الاجتماع، وإفساح المجال للجميع، وإعطاء الفرصة لذوي الخبرة والمعرفة للإجابة على تساؤلات الاجتماع، واستخدام صيغة الأسئلة المفتوحة، والابتعاد عن المجادلة، والبعد عن التضخيم وتوقع المستحيل، التخطيط، التنظيم، الرقابة.

بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه الكتاب ليبليغ الناس رسالة الله، وليخرجهم من الظلمات إلى النور. وليغيّر واقع الإنسان في الأرض كلّها. إن الرسول صلى الله عليه وسلم يمثل القائد الأول في الإسلام. فقد أسس الدولة، وهيئة الأرض للدولة، وحرر الشعب، وكون السلطة، وبنى النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي على ضوء التشريعات الربانية. كان الرسول صلى الله عليه وسلم يثق بأصحابه (العاملين) ويستشيرهم ويوليهم المهمات. كان

النبيّ يستوعب الإنسان في كلّ أبعاده ومشاعره وأفكاره، ويتعايش مع كلّ ظروفه الشخصية.

إنّ منهج الرسول صلى الله عليه وسلم قام على كافة أركان ومقومات النمط القيادي الابتكاري. وتوظيف الطاقات الإبداعية لصحابته على اختلاف قدراتهم ومستوياتهم، وجعل كلا منهم يعمل عقلية وفكرة وذلك بأعلى درجات الكفاءة والفعالية الفردية والتنظيمية. الحباب بن المنذر باقتراح موضع لنزول الجيش الإسلامي غير ذلك الموضع الذي أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم، والذي دل على مدى إحساسه بالمسؤولية والمشاركة والمبادرة وإعمال فكره وعقله في جغرافية المكان وكأنه القائد الأعلى. فإن الرسول صلى الله عليه وسلم استطاع أن يحقق بصحبه العاديين في عاداتهم وطباعهم وإمكاناتهم أعمالاً غير عادية تفوقوا بها.

إدارة الجانب المعرفي والمعلوماتي: ففي غزوة الأحزاب جمع المعلومات الدقيقة وفي الوقت المناسب عن ما يدبره اليهود بتأليب المشركين و تحزبهم ضد المسلمين. ومن ثم حسن توظيفه هذه المعلومات، وإشاعتها ليعرفها كافة العاملين معه ليكونوا جميعاً على نفس المستوى المعرفي لقيادتهم. لذلك بادر الرسول صلى الله عليه وسلم بعقد جلسة شورى عاجلة من ذلك النوع الذي يطلق عليه الآن " العصف الذهني " حيث ذكر تلك المعلومات لعموم المسلمين وأوقفهم على طبيعة الخطر القادم وحجم المشكلة التي سوف يتعرض لها المسلمون وطلب منهم المشاركة بالرأي والفكر للتصدي لذلك. وبذلك جعلهم يستشعرون المسؤولية وينغمسون في المشاركة والعمل.

الفكرة المبتكرة: وهو التوصل إلى وسيلة جديدة غير مألوفة لتحقيق نفس الهدف. وتهيئة المناخ الإبداعي الذي يتحول فيه الفرد العادي إلى مشارك ومبادر مبدع ومبتكر بشكل غير عادي. فهذا سلمان الفارسي يشارك بفكرته

المبتكرة وغير المألوفة عند العرب حينئذٍ و هي حفر خندق في الجزء الذي يمكن اقتحام المدينة منه وهو بين لا بتين مرتفعتين.

اغتنام الفرصة وحسن توظيف الطاقات الإبداعية للأفراد: نعيم بن مسعود، قدم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلن إسلامه في أثناء أحداث غزوة الأحزاب ويضع نفسه تحت تصرفه وقيادته. فما كان من الرسول صلى الله عليه وسلم بحكمته وعبقريته قيادته وتوظيفه للطاقات لشخص - (لم يكذب يعلن إسلامه) - ، إلا أن يضع ثقته فيه و يوجهه للقيام بمهمة عقلية يترك له فيها حرية التصرف ويمكنه من أدائها بما يتراءى له والهدف هو كما وجهه الرسول صلى الله عليه وسلم ألا يعلن إسلامه؛ فهو في المسلمين فرداً لن يضيف شيئاً إذا انضم إلى صفوفهم المعلنة، وإنما عليه أن يخذل عنهم، فإنما الحرب خدعة ووضعت الخطة لإفساد العلاقة و الحلف بين اليهود والمشركين و زرع بذور الشك والفرقة بينهم.

الوقوف على حقائق الأمور: فهذا حذيفة بن اليمان يبعثه الرسول صلى الله عليه وسلم من يأتيه بخبرهم، بالذهاب إليهم ومخالطتهم كأنه أحدهم والوصول إلى قاداتهم، ومعرفة ما يفكرون فيه دوم أن يشعر به أحد. مع وجود شدة البرد والخطر، والجوع والخوف وطول الحصار.

العدالة والمساواة: قصة الصحابي الذي ظن انه أحب الناس إلى الرسول صلى الله عليه وسلم

وقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل من أتباعه قادة، يستشعرون بالمسؤولية تجاه نشر الدين، وقادرين على اتخاذ القرارات المناسبة في الوقت المناسب.

والناظر في سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، يجد كيف كان يتعامل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه على أنهم قادة لهم رأيهم، ولهم موافقهم، ويشاركون في صنع القرار، ومثال ذلك الحباب بن المنذر رضي الله عنه في غزوة بدر، قال: "يا رسول الله أهذا منزل أنزلك الله أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟" قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (بل هو الرأي والحرب والمكيدة) قال: "فما هذا بمنزل". فقام النبي صلى الله عليه وسلم، وغير مكان الجيش الذي اختاره هو، وغير الخطة كلها بناءً على اقتراح وجيه جاءه من جندي في الجيش. وانظر إلى ما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمان يحتكمان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو: (اقض بينهما يا عمرو) فقال: أنت أولى بذلك مني يا رسول الله قال: وإن كان قال: فإذا قضيت بينهما فما لي؟ قال: (إن أنت قضيت بينهما فأصبت القضاء فلك عشر حسنات وإن أنت اجتهدت فأخطأت فلك حسنة) فانظر كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً أن يجتهد الصحابة، وينظروا في القضايا، ويحكموا بين الناس، كما هو واضح في هذا المثال مع الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه. والحقيقة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعامل مع كل شخصية من صحابته بما يناسبها. فبعض الصحابة كانت فيهم موهبة القيادة فحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على استغلالها وتنميتها وصقلها، كأمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين. ومنهم من هو أجدر بالعلم مثل أبي ذر رضي الله عنه حيث قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا ذر إني لأراك ضعيفاً وإني لأحب لك ما أحب لنفسني لا تأمرن على اثنين). ومنهم من صنع منه قادة للمستقبل من أمثال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وهذا يدل على أن الأصل أن البيئة التي

صنعها النبي صلى الله عليه وسلم هي بيئة تصنيع قادة، وهي مدرسة متكاملة لازالت تخرج قادة متميزين جيلاً بعد جيل على مر العصور.

وضوح الهدف: لقد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم واضحاً تماماً في أن منطلق دعوته هو نقل البشر من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد. فقد رفض طلب المشركين بأن يطرد المستضعفين من المسلمين حتى يجلسوا إليه. أخرج أبو نعيم عن ابن مسعود قال: مر الملاء (أي السادة) من قریش على رسول الله وعنده صهيب وبلال وخباب وعمار - رضي الله عنهم - ونحوهم وناس من ضعفاء المسلمين فقالوا (أي الملاء مخاطبين رسول الله): أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أفنحن نكون تبعاً لهؤلاء الذين من الله عليهم؟ اطردهم عنك فلعلك إن طردتهم اتبعناك قال: فأنزل الله عز وجل: (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَاٰلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ (٥١) وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ). أخرجهم أحمد والطبراني. فلا نجد موقفاً من مواقفه تناقض مع نصوص ومبادئ دعوته.

الاستمرارية و الحرص على استمرار عملية التبليغ والإقناع، البصر الحكيم بالموقف الذي يتخذ من الخصم. فحكمته في مواقفه تجاه العدو، ففي مكة يصبر ويأمر أتباعه بالصبر، ولم يأمر بقتال، ولو فعل ذلك لخسر أتباعه قتلاً، ولما أمكنه أن يتابع عملية التبليغ. فكسب بهذه الخطة كثيراً من القلوب. و بعد الإنتقال إلى المدينة تجدد موقفه مع المستجدات من معاهدة إلى سلام إلى حرب. مع استمرارية الهدف الدائم وهو التبليغ.